مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد (٢)، العدد (٢)، ص ص ٢٨٩-٣١٤، (يوليو ٢٠٠٩م/رجب ١٤٣٠هـ)

مقامات ذكر الرسول ﷺ باسمه (محمد) في القرآن الكريم
دراسة بلاغية تحليلية

مها بنت إبراهيم بن عبدالله المشيطي
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
(كلية التربية الأقسام الأدبية) جامعة القصيم

(قدم للنشر ١٤٢٩/٣/١٨هـ ؛ وقبل للنشر ١٤٢٩/٦/٢٤هـ)

ملخص البحث. كان أحب أسماء الرسول ﷺ إليه " رسول اللّه " إلا أن اللّه – تعالى – ذكره في القرآن الكريم باسمه العلم " محمد " في أربعة مواضع وباسمه (أحمد) في موضع واحد مناسبة للمقام، وهذه الآيات هي الآيات الواردة في هذا البحث، وقد وزعت على خمسة مباحث:

فقد جاء المبحث الأول باسمه (أحمد) على لسان عيسى – عليه السلام – في بشارته به قال تعالى: ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف] لكونه ﷺ أكثر الأنبياء حمداً لربه فهو أحمد منهم، فجاء موافقاً للمقام والسياق الذي ورد فيه.

جاء المبحث الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [آل عمران]، حيث أراد سبحانه وتعالى أن يصل المسلمين مباشرة بخالقهم دون أن يفتنوا بشخص محمد؛ لأنه بشر تجري عليه سنن اللّه في خلقه.

وجاء المبحث الثالث في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب] إبطال لأن يكون شخص محمد أباً لأحد أتباعه.

وجاء المبحث الرابع في قوله: ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ [محمد] يشير إلى أن الإيمان الحق لابد أن يقترن بشخص محمد ﷺ كما في الشهادة: أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه.

وجاء المبحث الخامس في قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الفتح] فإن المقام مقام مدح وثناء عطر على شخصية الرسول؛ لأن اسمه مشتق من الحمد، فقد كثرت خصاله المحمودة.

ويوصى في خاتمة البحث بزيادة الدراسات القرآنية الباحثة عما وراء الأساليب من غايات ومقاصد.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على صفوة خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، محمد صلى الله عليه وسلم، وآله الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله – تعالى – اصطفى رسوله ﷺ على خلقه، قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من يشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع "[١، ق ٢٢٧٨].

وقد عظم الله شأن نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب]، وشهد سبحانه بصدق رسالته قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء]، لذا أوجب على المسلمين الأخذ عنه جملة وتفصيلا، فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر] حيث ذكرت طاعته في القرآن الكريم في ثلاث وثلاثين موضعاً.

وقد كمله تعالى بالخلق الكريم من لين ورقة، وقلب رؤوف، فقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [آل عمران].

ثم إنه سبحانه قد ذكره في القرآن الكريم بأسماء، وصفات عظيمة منها قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء].

وأوجب سبحانه على المؤمنين احترامه وتوقيره، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح]، فلا يليق أن ينادى كما ينادي الناس بعضهم بعضاً، ولا ترفع أصواتهم فوق صوته كما ذكر المفسرون [٢، ٤/ ٣٥٢، ٣، ١٣٥/٢٦، ٤، ١١٦/٨]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجرات]، وقوله: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾ [النور]؛ لأن الله شرفه بالرسالة، وبالإضافة إليه سبحانه فهو "عبدالله ورسوله" وأغلب المواقع التي ذكر فيها الرسول ﷺ في القرآن

الكريم كانت بالعبودية والرسالة، وهذا أحب إليه – عليه الصلاة والسلام – فقد ورد قوله في الحديث: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ولكن قولوا عبدالله ورسوله" [٥، ق ٣٤٤٥].

إلا أن الله – تعالى – ذكره في القرآن الكريم باسمه العلم " محمد" وهو أشهرها في أربعة مواقع، وذكر بـ "أحمد" في بشارة عيسى – عليه السلام – وكان ذكره فيها بهذا الاسم أبلغ في تلك المقامات لمناسبتها الغرض والسياق.

وهذا الدراسة بمشيئة الله ستقوم بدراسة تلك المقامات التي ورد فيها اسمه ﷺ "أحمد " "محمد" دراسة بلاغية تحليلية تكشف عن خصوصية إيثار ذكره بهذين الاسمين عن رسول الله.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

تناولت في التمهيد معنى اسم محمد.

وتناولت المباحث على حسب ورودها في سور القرآن الكريم إلا موقع بشارة عيسى – عليه السلام – حيث إنه كان أحمد قبل أن يكون محمد، فجاء:

المبحث الأول: مقام البشارة ببعثة الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: مقام إثبات بشرية الرسول ﷺ.

المبحث الثالث: مقام نفي أبوة الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: مقام المدح والثناء على المؤمنين.

المبحث الخامس: مقام بيان صفات النبي ﷺ والمؤمنين.

وجاءت الخاتمة فيها خلاصة البحث وأبرز النتائج.

وبعد:

فإني أسأل الله التوفيق والسداد، وعلى الله قصد السبيل.

التمهيد

معنى اسم "محمد"

اختار الله – عز وجل – لنبيه ﷺ أفضل الأسماء " محمد" المشتمل على الحمد والثناء، فهو ﷺ – محمود عند الله – تعالى –، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين – عليهم الصلاة والسلام –، ومحمود عند أهل الأرض كلهم – وإن كفر به بعضهم –؛ لأن صفاته محمودة عند كل ذي عقل وإن كابر وجحد [٦، بدون].

فـ " محمد" مشتق من الحمد نقيض الذم، يقال حمدته على فعله [٧، ح، م، د]. وهو من الأعلام الغالبة في

الصفات، ومعناه من كثرت خصاله المحمودة، أو كثر له الحمد في السموات والأرض، أو كثر حمده لله تعالى، سمي به بإلهام من الله – تعالى – ليكون وفق تسميته تعالى له به قبل الخلق ﷺ [٨، ح، م، د].

وفي تفسير القرطبي ما يغني عن غيره في بيان اسم نبينا محمد ﷺ يقول: "وأحمد".

اسم نبينا ﷺ وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل، فتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل. بمعنى " أحمد " أي أحمد الحامدين لربه، والأنبياء – صلوات اللَّه عليهم – كلهم حامدون لله، ونبينا أحمد أكثرهم حمداً.

وأما " محمد " فمنقول من صفة أيضاً، وهي في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فالمحمد هو الذي حُمِد مرة بعد مرة، كما أن المُكرّم من الكرم مرة بعد مرة، وكذلك الممدّح ونحو ذلك، فاسم محمد مطابق لمعناه، واللَّه – سبحانه – سماه قبل أن يُسمى به نفسه، فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقاً عليه، فهو محمود في الدنيا لما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ، ثم أنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد، حمد ربه فنبأ وشرّفه (١) فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى – عليه السلام – فقال: " اسمه أحمد "، وذكر موسى – عليه السلام – حين قال لربه: تلك أمة محمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد (٢)، فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته) [٩، ١٨ / ٧٥].

فقد كرمه الله وشرفه يوم القيامة بما لم يكن لغيره ﷺ، فقال عليه السلام: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر..." [١٠، ق، ٤٣٠٨].

(يريد انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤوس الخلق) [٧، ح، م، د].

وهذا يعني أن للنبي ﷺ شفاعتين عامة وخاصة، فالعامة هي الشفاعة العظمى لخلاص أهل المحشر جميعاً، وهو المقام الذي يحمده فيه جميع الخلق لتعجيل الحساب والإراحة من طول الموقف، وشفاعة خاصة هي شفاعته ﷺ لأمته كما ورد في الصحيح عن أنس رضي الله عنهما قال: "إن الرسول ﷺ قال: "كل نبي سأل سؤالاً، أو قال: لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب له، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " [٥، ق، ٦٣٠٥]، فيظهر ما له من الحظ ﷺ من اسمه أحمد ومحمد بحمد كل موجود حيث يحمده الأولون والآخرون، وكل أهل المحشر.

---

(١) هكذا ورد في الأصل، والصحيح: فنبأ به، وشرفه.

(٢) ذكر المحقق إنه ليس لـ ـه ما يثبته.

والفرق بين أحمد ومحمد ، أن محمد هو كثير الخصال التي يحمد عليها ، وأحمد هو الذي يُحمد أفضل مما يحمده غيره ، فمحمد في الكثرة والكمية ، وأحمد في الصفة والكيفية.[٤٠ ، ٥٧/١]

وقد اشتقا هذين الاسمين من أخلاقه وصفاته التي لأجلها استحق أن يسمى محمداً وأحمداً.

يقول ابن القيم:

" ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق ، وكرائم الشيم ، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق الخلق ، وأكرم شمائل الخلق ، فإنه ﷺ أعظم الخلق ، وأعظمهم أمانة ، وأصدقهم حديثاً ، وأجودهم وأسخاهم ، وأشدهم احتمالاً ، وأعظمهم عفواً ومغفرة ، وكان لا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، كما روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة " محمد عبدي ورسولي سميته المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخّاب بالأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، وأفتح به أعيناً عمياً ، وآذانا صماً ، وقلوباً غلفاً " [٥ ، ق ، ٢١٢٥]، وأرحم الخلق وأرأفهم بهم ، وأعظم الخلق نفعاً لهم في دينهم ودنياهم ، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيراً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد ، وأصبرهم في مواطن الصبر ، وأصدقهم في مواطن اللقاء ، وأوفاهم بالعهد وألزمه ، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه ، وأشدهم تواضعاً ، وأعظمهم إيثاراً على نفسه ، وأشد الخلق ذبّاً عن أصحابه ، وحماية لهم ، ودفاعاً عنهم ، وأقوم الخلق بما يأمر به ، وأتركهم لما ينهى عنه ، وأوصل الخلق لرحمه ، فهو أحق بقول القائل :

بَرْدٌ على الأدنى ومرحمةٌ وعلى الأعادي مارنٌ جلدُ" [١١ ، ٢٨٤].

فلقد حبا الله – تبارك وتعالى – نبينا محمد ﷺ من الخصائص القوية ، والصفات العلية ، والأخلاق الرضية ما كان داعياً لكل مسلم أن يجلّه ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد كان لأهل السنة والجماعة قدم صدق في العناية بجمع خصائصه ، وإبراز فضائله ، والإشادة بمحاسنه ، فلم يخل كتاب من كتب السنة كالصحاح والسنن ونحوها... من كتب مخصصة في ذكر مآثره ، كما أفردت كتب مستقلة للحديث عنه ، وعن سيرته (٣).

---

(٣) من ذلك مثلاً: "شمائل النبي ﷺ، للترمذي، واختصره الألباني، و "سبل الهدى والرشاد" للصالحي، و" غاية السول في خصائص الرسول" لابن الملقن، و"بداية السول في تفضيل الرسول، للعز بن عبدالسلام. وهي رسالة لطيفة حققها الألباني وذكر أن جميع أحاديثها ثابتة، و"الخصائص الكبرى للسيوطي".

المبحث الأول: مقام البشارة ببعثة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الصف].

لما ذكّر اللَّه ببعض ما كان لموسى – عليه السلام – مع قومه، حيث كانوا يؤذونه مع علمهم برسالته في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف] أتبع ذلك بالدليل على صحة الخبر بإزاغة قلوب بني إسرائيل جزاء زيغهم عن الحق [١٢، ٧/٥٧٥]، فقال: الآية الكريمة: " وإذ قال عيسى..."، وهذا مثال آخر لهم حين حادوا عن طاعة رسله سبحانه، وتضمين ذلك تحذير المخاطبين المسلمين أن ينهجوا نهجهم[١٣، ٢٨/١٨٠].

" وإذ " هنا بمعنى اذكر حين حدث هذا القول (٤)، ونسب عيسى- عليه السلام- إلى أمه؛ لأن الغرض بيان أنه رسول من اللَّه تعالى، ونفي نسبته إليه كما يدعي النصارى، ولذلك قال سبحانه على لسان عيسى عليه السلام: "إني رسول اللَّه" ولم يقل: إني ابن اللَّه، ولا إني أنا اللَّه.

(ونادى عيسى – عليه السلام – قومه " يا بني إسرائيل " دون "ياقوم"؛ لأن بني إسرائيل بعد موسى اشتهروا بعنوان بني إسرائيل، ولم يطلق عليهم عنوان قوم موسى إلا في مدة حياة موسى خاصة، فإنهم إنما صاروا أمة وقوماً بسبب شريعته. فأما عيسى فإنما كان مرسلاً بتأييد شريعة موسى، والتذكير بها، وتغير بعض أحكامها؛ ولأن عيسى حين خاطبهم لم يكونوا قد اتبعوه، ولا صدقوه فلم يكونوا قوماً له خالصين) [١٣، ٢٨/١٨٠].

أو يكون ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم، واستعطافاً لهم [٤، ٨/ ٢٤٤]، للتصديق به؛ لأنهم كانوا يفتخرون بنسبتهم إلى إسرائيل عليه السلام [٣، ٢٨/٨٦].

وفي إيثار النداء بـ" يا " النداء، – وهي للبعيد – مع أنهم بحضرته، للدلالة على بعدهم عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام، والذي أكده عيسى – عليه السلام – بمجيئه إليهم، وهذا صريح في الآية السابقة لهذه الآية، فللتنبيه على هذه الغفلة أوثر النداء بـ" يا " النداء.

وجاء قوله: " إني رسول اللَّه إليكم " تأكيداً بأنه رسول من عند اللَّه، وقد أكدت الجملة بـ" إن واسمية الجملة "، وذلك رداً على عناد بني إسرائيل، وإصرارهم على الكفر والضلال، وإثباتاً لكونه مرسلاً.

---

(٤) لما كانت " إذا " مبهمة احتاجت لما يبين زمانها عن بقية الأزمنة، فلذلك لزمت إضافتها إلى الجمل أبدا.

ثم يذكر سبحانه وتعالى أساس القضية ، وهي أن كل رسول ونبي يصدق بالسابق ، ويبشر باللاحق ، وهذا تأكيد على نبوته ؛ لأنه لو كان مُدعياً للنبوة لجاء بغير ما جاء به المرسلون من قبله ؛ ولذلك قال : "مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد" فكما أن التوارة أخبرت بي ، وبشرت ، فجئت ، وبعثت مصدقاً لها ، فأنا أبشركم برسول جديد يأتي اسمه أحمد.

ومعنى " مصدقاً لما بين يدي من التوارة " ، أي : مبيناً صدق ما ذكر فيها ، والتصديق هنا بمعنى التقرير ، أي : (تعلمون أن اللَّه – تعالى – أنزلها على موسى – عليه الصلاة والسلام – ، وهي أول الكتب التي نزلت بعد الصحف ، وحكم بها النبيون ، فتصديقي لها مع تأييدي لها مؤيد ؛ لأن ما أقمته من الدلائل حق ، ومبين أنها دليلي) [١٢ ، ٥٧٦/٧]، والتعبير بقوله (بين يدي) كناية عن (٥) الأمام ، وهو ما سبقه من التوارة.

والتبشير هو (الإخبار بحادث يسر ، وأطلق هنا على الإخبار بأمر عظيم النفع لهم ؛ لأنه يلزمه السرور الحق ، فإن مجيء الرسول ﷺ إلى الناس نعمة عظيمة) [١٣ ، ١٨١/٢٨].

و"أحمد" إشارة إلى النبي ﷺ باسمه وفعله تنبيهاً أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد وهو محمود في أخلاقه وأحواله ، وخص لفظه "أحمد" فيما بشر به عيسى – عليه السلام – تنبيهاً أنه أحمد منه ، ومن الذين من قبله [١٤ ، ح ، م د]. [١٥ ، ح ، م ، د].

وذكر تبشير عيسى بمحمد ﷺ إدماج (٦) في خلال المقصود الذي هو تنظير ما أوذي به موسى – عليه السلام – من قومه ، وما أوذي به عيسى كذلك ، إدماجاً يؤيد به النبي ﷺ ، ويثبت فؤاده ، ويزيده تسلية.

كما أن فيه تخلصاً (٧) إلى ما لقيه ﷺ من قومه نظير ما لقيه عيسى – عليه السلام – من بني إسرائيل [١٣ ، ١٨٦/٢٨]، وفي ذلك ذم للمشركين وغيرهم ممن لم يقبلوا دعوته عليه أفضل الصلاة والسلام.

ويحتمل أن يعود الضمير في قوله : " فلما جاءهم " إلى عيسى ، أو إلى محمد – عليهما السلام – ، والأولى أن يعود على محمد ﷺ [١٦ ، ٧٩٧] لما يسنده من آيات أُخر ، فبنو إسرائيل وقفوا في وجه رسول اللَّه ﷺ وقفة العداء ، والكيد ، والتضليل ، وحاربوه بشتى الوسائل والطرق ، واللَّه يقول عنهم : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ

---

(٥) الكناية: هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي، [٣٠، ٤٥٦/١].

(٦) الإدماج: هو أن يضمن كلام سيق لمعنى آخر، [٣٢، ٥٣/٤].

(٧) التخلص: هو عبارة عن الخروج عن المقصد المطلوب عقيب ما ذكره من قبل للتخلص،[٣١، ٥٦٨]

ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف].

ولم تضع الحرب أوزارها لحظة واحدة حتى اللحظة الحاضرة، فإن دأب الصهيونية والصليبية العالمية الكيد للإسلام وأهله.

ومعنى " البينات " هنا الدلائل الواضحة، والمعجزات الظاهرة الدالة على أن المبشر به هو محمد ﷺ، وأنه رسول اللَّه حقاً، ولكن ماذا كان ردهم؟

" قالوا هذا سحر مبين " وهذا من أعجب العجب وأبلغ الافتراء.

وفي مجيء المسند إليه معرفاً بالإشارة ؛ لأن المعاندين ادعوا ظهور هذا المسند إليه، وتمييزه عن غيره تمييزاً كاملاً، فقد تقرر في نفوسهم وثبت عندهم كونه سحراً (٨)، ولذلك زادوا في تأكيده، فوصفوه بـ " المبين "، ليدلوا على مدى ظهوره، وبالغ وضوحه بحيث لا يخفى على أحد، وقد كان هذا منهجهم، فقد قال تعالى عنهم في آيات أُخر: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر]، وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ].

المبحث الثاني: مقام إثبات بشرية الرسول ﷺ

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

في مجال الجهاد وساحات القتال يختلط الحابل بالنابل، وتبلغ القلوب الحناجر، وتتوارد الظنون على الخواطر، وحينئذ لابد من تثبيت النفوس بأسلوب يسترعي الانتباه، ويخاطب العقل، وهذا مثل ما وقع في غزوة أحد عندما انقلب ميزان المعركة إلى كفة المشركين، ومالوا على المسلمين، وبلغ الأمر ذروته (لمّا رمى ابن قمئة رسول اللَّه ﷺ

---

(٨) السِّحرُ: يقال على معان: الأول: الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، والثاني: استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الشعراء]،
والثالث: ما يذهب إليه الأغتام وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوته يُغير الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك، وقد تصور من السحر تارة حسنة فقيل: " إن من البيان لسحراً"، وتارة دقة فعله نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء]. [١٤، س،ج،ر].

بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب ابن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة ، وهو يرى أنه رسول اللَّه ﷺ فقال : قتلت محمداً ، وخرج صارخاً قيل : هو الشيطان ألا إن محمداً قد قتل ، ففشا في الناس خبر قتله ، فانكفئوا ، وجعل رسول اللَّه ﷺ يدعو " إليّ عباد اللَّه " حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلا مهم على هربهم ، فقالوا : يا رسول اللَّه فديناك بآبائنا وأمهاتنا آتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل) [١٧ ، ١٨٥/١ ، ١٨ ، ٧٠]قوله تعالى : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله... الآية" عتاباً ، وملامة للمسلمين ؛ لأن تمنيهم الموت في الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آل عمران] لم يكن عن رسوخ ، ويقين ، وتفضيل للشهادة ، ولقاء اللَّه ، وإنما كان فيه شائبة من الغرور ، والزهو.

وعبر باسمه ﷺ العلم " محمد " ؛ لأنه أشهر أسمائه ، وهو منقول من اسم المفعول محمود ، ومعناه الذي كثرت خصاله المحمودة[٧ ، ح ، م ، د] ، وقد جمع هذا الاسم الكريم من الأسرار ما لا يحصى حتى قيل : إنه يشير إلى عدة الأنبياء كإشارته إلى المرسلين منهم[٣ ، ٤ / ٧٣] ، وقد أكرمه المولى جل وعلا باسمين من أسمائه تعالى محمد ، وأحمد ، وفيه قال حسان بن ثابت :

ألم تر أن اللَّه أرسل عبده ببرهانه واللَّه أعلى وأمجـــد
وشق له من اسمه ليجلّه فذو العرش محمود هذا محمد [١٩ ، ٣/١٨٢]

وإنما عبر باسمه ﷺ ؛ لأن الصارخ " ابن قمئة " صرخ به [٣ ، ٤/٧٣] ، ولعلي ألمح ملمحاً آخر يعضده السياق ، وهو أن اللَّه –سبحانه وتعالى– أراد ألا يفتن المسلمون في تعلقهم الشديد بشخص محمد ﷺ ، وهو حي بينهم ، وأن يصلهم مباشرة بالخالق عز وجل ، فيجعل ارتباطهم باللَّه — تعالى — دون وسيط ؛ لأنهم بايعوا اللَّه تعالى.

والقصر في الآية وقع بـ " ما وإلا "[١٣ ، ٤/ ١١٠] وهو قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً (٩) ؛ لأن النبي ﷺ مع اتصافه بكونه رسولاً فهو كذلك قائد ومعلم... ، وهذا وغيره يشهد له واقع حياته ﷺ ، كما أن طريق القصر جاء بأسلوب النفي والاستثناء دون " إنما " ؛ لأنه نزل المخاطبين منزلة من يجهل ، أو ينكر قصر الموصوف على هذه الصفة.

والذي يظهر من نظم الآية وسبب نزولها أن القصر إضافي من قبيل قصر الإفراد (١٠) وذلك ؛ لأن انقلاب كثير منهم ناتج عن حسبانهم أن محمداً ﷺ لا يموت ما دام رسولا ، ويدل على ذلك وصفه بجملة " قد خلت من قبله

---

(٩) القصر الإضافي: هو ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة لشيء معين [٣٤، ١٩٨]

(١٠) قصر الإفراد: هو إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره، وهو لا يتأتى في القصر الحقيقي، لأن القصر فيه يكون بالنسبة إلى ماعدا المقصور عليه على الإطلاق بخلاف القصر الإضافي الذي يجري فيه القصر بالنسبة لشيء معين، [٣٣، ١٣٨].

الرسل" ، فهي من تتمة القصر ، لكونها صفة ، والصفة تتبع الموصوف ، ولم تكن هذه الصفة واردة إلا لرد اعتقاد من ذهب إلى عدم خلوده ، وعدم موته ﷺ كسائر الرسل [٣ ، ٤/٧٣].

ويدل على ذلك أيضاً أنه لما توفي ﷺ حقيقة ، وأشيع خبر وفاته غفل عمر-رضي اللَّه عنه- عن هذه الآية ، وطفق يهدد كل من قال بوفاته ﷺ ، حتى قام أبو بكر -رضي اللَّه عنه- في الناس خطيباً ، فحمد اللَّه ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى : " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل... الآية" ، فقال عمر : واللَّه ماهو إلا أن سمعت أبا بكر – رضي اللَّه عنه – يتلوها فعقرت ، حتى ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول اللَّه ﷺ قد مات[٤ ، ٢/٩٣].

ثم رتب الإنكار بهمزة الاستفهام على ما وقع من بعضهم من الفرار ، والانقلاب عندما أشيع خبر قتله عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : "أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" ، وجاء الشرط " بإن " لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم موت رسول اللَّه ﷺ [٣ ، ٤/٧٤].

كما أنه ذكر " القتل " مع علمه تعالى أن رسول اللَّه ﷺ يكون موته على فراشه دون قتله وذلك ؛ لأن المخاطبين قد أجازوا ذلك في المعركة [٣ ، ٤/٧٤] ، كما أنهم قد غفلوا عن ذلك كما غفل عمر -رضي اللَّه عنه- يوم وفاته عليه السلام.

ويظهر في قوله : " انقلبتم على أعقابكم " استعارة تبعية [١١] ، حيث شبه ارتداد بعضهم ، ورجوعهم إلى حال الكفر بالانقلاب على مؤخر الرجل ، وفي هذا التعبير تصوير حسي للارتداد ، فهذه المعركة الحسية تحسم معنى الارتداد عن العقيدة ، والمقصود أصلاً ليس حركة الارتداد الحسية بالهزيمة في المعركة "الفرار والهروب" ، ولكن تجسيم لحركة الارتداد النفسية التي صاحبتها حينما هتف الهاتف إن محمداً قد قتل ، حيث أحس المسلمون أنه لا جدوى من قتال المشركين ، فبموت رسول اللَّه ﷺ انتهى أمر هذا الدين [٢٠ ، ٤ / ٤٨٦].

ثم أتبع ذلك بالتهديد ، والوعيد الشديد في قوله : " ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر اللَّه شيئاً " من الضرر وإن قلّ ، وإنما يضر نفسه ، ويدل على أنه يضر نفسه (توجه النفي إلى المفعول فإنه يفيد أنه يضر غير اللَّه – تعالى – ، وليس إلا نفسه) [٣ ، ٤/ ٧٥] ، ولم يرتد من المسلمين في أحد إلا ما كان من قول المنافقين ، وفعلهم [٢ ، ١/ ٤٢٣].

---

[١١] الاستعارة التبعية، هي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها، وكالحروف بناء على دعوى أن الاستعارة تعتمد على التشبيه، والتشبيه يعتمد على كون المشبه موصوفاً، والأفعال والصفات المشتقة منها، والحروف عن أن توصف بمعزل، وإنما المحتمل لها في الأفعال والصفات المشتقة منها مصادرها، وفي الحروف متعلقات معانيها[٣٥، ١٨٠].

كما أن الآية مع عتابها للمسلمين حين اضطربوا، واهتزوا، تنبئ بالمستقبل، حيث يُعد المسلمون إلى تلقي الصدمة الكبرى حين وفاته ﷺ، فيعلمون أن اتباع الرسول ليس مقصوراً على حياته بل يمتد بعد ذلك [١٣، ١١٣/٤].

وقوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ متصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد [٣، ٧٥/٤]، فإنه تعالى لما توعد المنقلبين وعد الثابتين على دين الإسلام بحسن الجزاء والثواب. ومجيء السين في فعل الاستقبال دلالة على تحقق وقوع الجزاء وعدم تأخره عنهم[٢١، ٦٩/٣].

وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار، لإبراز مزيد الاعتناء بجزائهم [٤، ٩٤/٢].

ولم يذكر جزاءهم، ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر قلة، وكثرة، وحسناً، فيقع بذلك التنافس بين الشاكرين في فعل الشكر، وأدائه على الوجه المطلوب.

وفي وضع الشاكرين موضع الثابتين على الدين بصيغة اسم الفاعل؛ لأن هذه الصيغة أوقع في الدلالة على المعنى من غيرها؛ ولأن الثبات على الحق ناشيء من تيقن حقيقة الإيمان، وهذا شكر لله وعرفان لحقه تعالى، فمن امتثل ما أمر اللَّه به فقد شكر النعمة التي أنعم اللَّه بها عليه، وهي نعمة الإسلام، فلا جرم أن مدحهم اللَّه بذلك.

كما أن فيه إيماء إلى كفران المنقلبين[٤، ٩٤/٢] من المنافقين، وغيرهم ممن لم يثبتوا، وتزعزعوا.

والآية من الاحتباك (١٢) على ما يذكر البقاعي (حيث أثبت الانقلاب، وعدم الضرر أولاً دليل على حذف ضده ثانياً، والجزاء ثانياً دليلاً على حذف مثله أولاً) [١٢، ١٦٢/٢]، وفي أسلوب الاحتباك من البلاغة الإيجاز بالحذف (١٣)، وتركيز العبارة، وصقلها، وإحكامها، وفي ذلك ما فيه من شحذ العقل ودقة الفكر.

المبحث الثالث: مقام نفي أبوة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب].

---

(١٢) الاحتباك: هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه [٣٦، ٢٠٠/٣].

(١٣) إيجاز الحذف: هو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها بحذف شيء من التركيب، مع عدم الإخلال بالمعنى .....، والحذف إما أن يكون حرفاً، أو مفرداً أو جملة أو أكثر من جملة [٣٧، ٢٥١].

بعد أن ذكر سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب]، بعد زواجه ﷺ من زينب بنت جحش، قال الناس: إن محمداً ﷺ تزوج زوجة ابنه زيد بن حارثة، فنزلت الآية لبيان أن زيداً لم يكن ابناً لرسول اللّه ﷺ، وإنما أولاده الذكور هم القاسم، إبراهيم، الطيب والطاهر(١٤).

فجاء قوله: " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم " بعموم النفي، إبطالاً، وقطعاً لمن يتوهم، أو يردد القول بأن للرسول ﷺ ولداً من الرجال تجري عليه أحكام البنوة.

وإيثار اسم " محمد " في هذا الموقع؛ لأن زيد بن حارثة كان يسمى "زيد ابن محمد"، فجاء النفي بإبطال أن يكون شخص محمد ﷺ أباً لأحد من أدعيائه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأحزاب]، كما أن فيه إشارة إلى كونه جمع الخصال المحمودة، فكثر حمده، ولهذا خص بالرسالة، وختمت به مجامع الحمد.

وجاء قوله (" من رجالكم " وصفاً لـ " أحد " وهو احتراس(١٥)؛ لأن النبي ﷺ أبو بنات، والمقصود نفي أن يكون أبا لأحد من الرجال) [١٣، ٤٣/٢٢].

وهذا الاحتراس يفيد أن الرسول ﷺ بريء مما يلصقه به المخاطبون، ولذلك أضاف " رجال " إلى ضمير المخاطبين دون تعريفه باللام، لقصد التغليط، والتغليظ عليهم في هذه القضية.

إذن نفى عن شخص رسول اللّه ﷺ الأبوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الأبوة الحقيقية من الإرث، والنفقة، وحرمة المصاهرة، وغير ذلك، فالنفي هنا يفيد العموم، فليس النبي ﷺ أباً لأحد مطلقاً بحيث يشمل (نفي الأبوة بالولادة، والأبوة بالرضاع، والأبوة بالتبني) [٣، ٣٠/٢٢]، وإن كان المقصود من الآية نفي أبوة التبني.

ولما كان نفي كونه ﷺ أباً لهم على الحقيقة ربما يوهم أنه ليس بينه ﷺ وبينهم ما يوجب تعظيمه، وتوقيره، وانقيادهم له، وعدم الاعتراض عليه، بيّن أن حقه ﷺ آكد من حق الأب الحقيقي فقال: "ولكن رسول اللّه وخاتم النبيين"؛ لأن حاله ﷺ حال الخائف المشفق الرحيم بأمته.

---

(١٤) الصحيح أن الطيب، والطاهر، أو المطهر هما ألقاب لعبد اللّه، ويراجع في هذه الروايات [٢٢، ٣٠٥/١٠]

(١٥) الاحتراس: من ضروب الإطناب، وهو أن يؤتى من كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه [٣٣، ٢٩٩].

فجاء هذا الاستدراك مشيراً إلى كمال نصحه ، وشفقته على الأمة ، وذلك بوصف الرسالة في "رسول اللّه" ؛ لأن مرتبة المرسل من اللّه – تعالى – هي مرتبة الاتباع ، والطاعة ، والاهتداء بما جاء به من الهدى ، والشرع ، ولذلك يجب أن تقدم محبته ؛ لأنه ناصح للمؤمنين ، والناصح المشفق لا يكون إلا أباً.

وفي إضافة رسول إلى لفظ الجلالة تشريف له ، وبيان لمكانته ، ثم إنه زاد هذا التكريم بعطف صفة " وخاتم النبيين " تكميلاً (١٦) ، للتنويه بمقامه ﷺ وإيماء إلى أن في انتفاء أبوته لأحد من الرجال حكمة قدرها اللّه – تعالى – ، فخاتم النبيين يقتضي ألا يكون له أبناء بعد وفاته ؛ لأنهم لو كانوا أحياء بعد وفاته ، لخلعت عليهم النبوة [١٣ ، ٢٢ ، ٤٤]، واللّه يعلم حيث يجعل رسالته ، كما قال سبحانه ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام].

ومعنى " خاتم النبيين " أنه لا نبي بعده فبه قد ختمت النبوة ، وهذا يقتضي أن يكون أحرص ، وأشفق على الأمة من أي رسول قبله ؛ لأن رسالته عامة إلى الإنس والجن إلى أن تقوم الساعة.

(وهذه الآية مثبتة لكونه خاتماً على أبلغ وجه وأعظمه ، وذلك لأنها في سياق الإنكار ، لأن يكون بنيه أحد من رجالهم بنوة حقيقية أو مجازية بغير جهة الإدلاء بأنثى ، لكونه رسولاً وخاتماً ، صوناً لمقام النبوة أن يتجدد بعده لأحد ، لأنه لو كان ذلك الأحد بشراً لم يكن إلا ولداً له ، وإنما أوثرت إماتة أولاده – عليه الصلاة والسلام – وتأثير قلبه الشريف بها إعلاء لمقامه أن يتسنمه أحد كائناً من كان ، وذلك لأن فائدة النبي تتميم شيء لم يأت به من قبله ، وقد حصل به ﷺ التمام فلم يبق بعد ذلك مرام " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [٢٣ ، ق،٨]، [١٢ ، ١١٢/٦]، وقد جاء "خاتم" في ذروة المدح والثناء العطر على صاحب الدعوة ﷺ، ودلالة خاتم هنا على المنع الذي هو أصل المادة دلالة ظاهرة ، حيث إن نبوته منعت مجيء النبوات بعده ، فهو الرسول النبي المصطفى لجميع العباد من اللّه إلى قيام الساعة[٢٤ ، ١٧٨]، فعن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: " مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ، ويتعجبون منها ، ويقولون: لولا موضع اللبنة ! قال رسول اللّه ﷺ: فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء " [١ ، ق ، ٢٢٨٧].

وببيان هذه الحكمة يظهر حسن موقع التذييل (١٧) بجملة " وكان اللّه بكل شيء عليماً " ، فهو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية ، وما يُصلحها ، فقد فرض على نبيه ما فرض ، واختار له ما اختار ، وذلك لأنه " عليم " ،

---

(١٦) التكميل ويسمى أيضاً الاحتراس، وهو أن يؤتى به في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه، ووجه تسميته بالتكميل؛ لأنه يكمل المعنى برفع إيهام خلاف المراد، ووجه تسميته احتراساً، لأن حرس الشيء حفظه، وهذا النوع فيه حفظ للمعنى من توهم غير المراد [٣٠، ٣٠١/١].

(١٧) التذييل: من ضروب الإطناب، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها، للتأكيد [٣٣، ٢٢٧].

والعلم صفة ثابتة لله – عز وجل – فهو العالم (بما كان، وبما يكون قبل كونه، وبما يكون، ولما يكن بعد وقبل أن يكون، لم يزل عالماً، ولا يزال عالماً بما كان ويكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء – سبحانه وتعالى –، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها، وظاهرها، دقيقها، وجليلها على أتم الإمكان) [٧، ع، ل، م].

وعلى هذا فإن اللّه قضى هذا الشرع وفق علمه تعالى بكل شيء، ومعرفته بالأصلح الأوفق من النظم والقوانين بما تقتضيه الرحمة والخيرة للمؤمنين.

المبحث الرابع: مقام المدح والثناء على المؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد].

افتتح اللّه – تبارك وتعالى – سورة محمد ببيان حقيقة الذين كفروا، وحقيقة الذين آمنوا فقال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ [محمد] لذم الكافرين، والثناء على المؤمنين، مع إيحاء بأن اللّه – تعالى – عدو للكافرين، ولي للمؤمنين؛ لإعلان الحرب على أعدائه، وحث المؤمنين على خوض غمار هذه الحرب.

وقد جاء التعبير عن المؤمنين بالموصول وصلته، وهذا شرف لهم، وإعلاء لشأنهم؛ لأن دائرة الإسلام واسعة، ودائرة الإيمان ضيقة لا يدخل في نطاقها إلا من عقد قلبه على الإيمان، وانطلقت جوارحه بالأعمال الصالحة(١٨)، لذلك جمع بين الإيمان، والأعمال الصالحة بواو العطف، وبصيغة الماضي، ليدل على ضرورة اقتران أحدهما بالآخر وتحققه.

والتعريف في (الصالحات) للعهد الذهني، أي: عملوا الأعمال المعتبرة في الشرع صلاحها، وهو ما يعهده المسلم ويحضره في ذهنه من أمور الدين من قول، أو فعل، وضابطها؛ إخلاص النية في العمل، وأن يكون العمل موافقاً للشرع.

وفائدة التعريف بالأعمال الصالحة في الآية هي: التنويه بشأن أصحابها، وعلو هممهم، وقيامهم بحق اللّه في العبودية، فاللفظ عام يعم جميع الذين آمنوا، وعملوا الصالحات [٢١، ٨/٧٣].

---

(١٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام دقيق ونفيس في مسائل الإيمان، والإسلام تحديداً، وتفريقاً، وذلك في كتاب الإيمان. يراجع فتاوى شيخ الإسلام، لأحمد بن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط١، ١٣٩٨هـ ..

ثم إنه عطف على الإيمان السابق الإيمان بما نُزّل على رسول اللّه ﷺ، مع أنه يندرج في عموم الإيمان، (تنويهاً بشأنه، وتنبيهاً على سمو مكانته، من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنه الأصل في الكل) [٤ ، ٨/٩١] فذكره هنا من قبيل ذكر الخاص بعد العام (١٩)، للعناية به، وكأنه ذكر مرتين، وهذا نوع من الإطناب.

وإيثار الفعل " نُزّل " بالتضعيف دون " أُنزل " قد يكون للتدرج، والتكثير، وقد يكون للاهتمام، والمبالغة، فالتنزيل يستعمل فيما هو أهم وأبلغ من الإنزال [٢٥ ، ٦٤]، وهو مناسب للمقام هنا، حيث إن إيمانهم لم يتزعزع بل يزداد ثباتاً كلما أنزل اللّه قرآناً يتلى.

وفي إيثار اسم: " محمد " دون " رسول اللّه " تعليم بأن كل إيمان لابد أن يقترن بالإيمان بشخص محمد ﷺ الذي كمل خلقه، وحسنت سجاياه، فنال شرف الرسالة والنبوة، والإيمان لا يصح، ولا يتم إلا بالإيمان بمحمد ﷺ، ولذلك أُكد بالجملة الاعتراضية[٣، ٢٦/٣٧] " وهو الحق من ربهم " المفيدة للقصر(٢٠) بتعريف الطرفين، وهو قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً ؛ لأن القرآن الكريم وهو الذي نُزل على رسول اللّه مع اتصافه بكونه حقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو كذلك نور، وهدى، وشفاء...، وهذا وغيره مما يشهد له آيات من القرآن الكريم (٢١).

ولا غرو فإن هذا التنويه بشأن القرآن ثناء على المؤمنين أيضاً ؛ لأنهم آمنوا بكل ما جاء به، وما اشتمل عليه قولاً وعملاً، ولذلك استحقوا أن يضيفهم اللّه — تعالى — إليه تشريفاً، وتكريماً في قوله: " من ربهم " ؛ لأنهم يعلمون أن ربهم قد أنعم عليهم، وتفضل بهذه النعمة، وهي نعمة الإيمان، وإنزال القرآن الكريم، وهذه نعمة لا تفضلها نعمة، وإحسان لا يوازيه إحسان.

ثم إنه تعالى طمأن عباده المؤمنين بأن جزاء إيمانهم، وعملهم الصالحات، هو تكفير سيئاتهم، والتكفير، هو الستر، والتغطية بحيث يصير بمنزلة مالم يُعمل [١٤ ،ك ،ف ،ر]، وإلى هذا أشار بقوله – تعالى – في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود، ١١٤]، فكل ما اقترفوه من سيئات قبل الإيمان كفّرها اللّه – تعالى – عنهم.

وفي إيثار التعبير بـ" كفّر " دون " غفر " ؛ لأن الفعل " كفّر " يأتي مضعف الفاء، فيفيد المبالغة في ستر السيئات، وكأنها لم تكن، وأما الفعل "غفر" فلا يأتي مضعف الفاء في الفعل الماضي مثل " كفّر "، ولذلك يفيد مجرد ستر هذا الذنوب دون مبالغة في ذلك، واللّه أعلم.

---

(١٩) ذكر الخاص بعد العام: من أنواع الإطناب بالزيادة تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات [٣٨، ٣/٢١٢]

(٢٠) القصر الإضافي: سبق بيانه، ينظر: ص١٥ من البحث.

(٢١) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨].

ثم زاد في بيان سعادتهم بـ " إصلاح بالهم " ، وإصلاح البال(٢٢) بمعنى : إصلاح الشأن ، أو الحال ، أو الأمور ، وهذه المعاني كلها متقاربة ، والإيمان أصل صلاح بال المؤمن ، كما يقتضي إصلاح البال راحة النفس ، وسكونها وهدوءها ؛ لأن اللّٰه كفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة. (جعلنا اللّٰه منهم).

وقد ختمت هذه الآية ببيان أن الإيمان هو سبب النجاة ، وصلاح البال ، وسعادة الدنيا والآخرة ، وهذا لا شك تعريض بالكفار الذين استحبوا العمى على الهدى ، ولذلك قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد] ؛ لأن الكفر هو سبب ضياع الأعمال وخسرانها في الآخرة ، والضياع والشقاء في الدنيا كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه].

المبحث الخامس: مقام بيان صفات الرسول ﷺ والمؤمنين

قال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح].

لما بيّن سبحانه وتعالى صدق رسول اللّٰه ﷺ في رؤياه بدخول مكة ، وطوافهم بالبيت ، فاطمأنت نفوس المؤمنين بنصرة هذا الدين بقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح] أعقب ذلك بالتنويه بشأن رسوله ﷺ ، والثناء على أصحابه المؤمنين.

وصدرت الآية الكريمة باسم النبي ﷺ العلم " محمد " ، وهو المسند إليه تشريفاً له ، وتعظيماً ، واصطفاء اسم "محمد" من سائر أسمائه في هذا المقام الذي هو مقام مدح ، وثناء فيه مناسبة للمعنى ، وتأكيد له ، ذلك أن (محمد) مشتق من الحمد ، و"محمد" هو من كثرت خصاله المحمودة ، وهذه المعاني منصبة على المصطفى ﷺ فهو محمود السيرة ، طيب السريرة عند الخالق وعند الخلق مؤمنهم وكافرهم ، فقد حاز الأخلاق العظام ، وتمكن من دقيقها وجليلها [٢٦ ، ٣٠٦].

---

(٢٢) البال: الحال والشأن، وأمر ذو بال أي: تشريف يحتفل له، ويهتم به. ينظر: [٧، ب،و،ل].

ثم إنه تعالى زاده تشريفاً على تشريف، حيث أضيف الخبر إلى لفظ الجلالة "رسول اللّه" هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه تأكيد للمعنى المتقدم في الآية السابقة [٢٧ ، ٢٨/٨٨]، وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح]، فقد شهد اللّه – تعالى – لرسوله بالرسالة، فلا مسوغ لإنكارها؛ لأن اللّه – تعالى – قد شهد بها وكفى به شهيداً، ولذلك جاء إسناد الرسالة إلى محمد ﷺ خالياً من المؤكدات، وعلى هذا فإن الخبر إذا سيق إلى خالي الذهن يكون على مقتضى الظاهر، أما إذا سيق إلى منكر أو شاك دون توكيد فإنه ينزل منزلة غير المنكر أو الشاك فيجري على خلاف مقتضى الظاهر، ونكتة ذلك أن رسالة محمد ﷺ ظاهرة واضحة لا تحتاج إلى تأكيد بل يدركها كل من لديه أدنى مسحة من عقل، ولا شك أن ذلك تعريض بالمشركين الذين أنكروا رسالته عليه الصلاة والسلام بأنهم قد سلبوا نعمة العقل، والفكر، فهم في غيهم، وضلالهم يتخبطون، ولذلك نزل إنكارهم منزلة عدمه، لعدم الاعتداد به، لقيام الأدلة الكثيرة على رسالته.

ويذكر صاحب التحرير أن " محمد رسول اللّه " من حذف المسند إليه حيث إن "محمد" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو، وقد استحسن هذا الوجه بقوله: (وهذا المعنى هو الأظهر هنا، إذ ليس المقصود إفادة أن محمداً رسول اللّه، وإنما المقصود بيان رسول اللّه من هو، بعد أن أجرى عليه من الأخبار من قوله: " لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا" إلى قوله: " ليظهره على الدين كله..."، فيعتبر السامع كالمشتاق إلى بيان من هذا المتحدث عنه بهذه الأخبار؟ فيقال له: محمد رسول اللّه، أي: هو محمد رسول اللّه، وهذا من العناية والاهتمام بذكر مناقبه ﷺ، فتعتبر الجملة المحذوف مبتدؤها مستأنفة استئنافاً بيانياً... وفي هذا نداء على إبطال جحود المشركين رسالته) [١٣ ، ٢٦/٢٠٣].

ثم عطف عليه قوله: " والذين معه "، والمقصود بصلة الموصول هم الصحابة على وجه العموم على الرأي الراجح [٢٨ ، ٥/٥٥]، حيث تفيد المعية الداخلة على الضمير العائد على رسول اللّه ﷺ شرفهم وفضلهم، وصحبتهم الكاملة للنبي ﷺ بالطاعة والتأييد.

وأخبر عن الموصول بقوله: " أشداء على الكفار " أي: فيهم غلظة في المعاملة، وقساوة، كما قال اللّه تعالى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ [التحريم، ٦] والشدة على الكفار هي: الشدة في قتالهم، وإظهار العداوة لهم، وهذا مدح لهم؛ لأنهم عملوا بمقتضى أمر اللّه تعالى لهم، فقد قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة] فهذه الشدة، هي الحامية للعقيدة.

وفي التنصيص على الكفار بلفظ الكفر، إيذان بأن الموجب لهذه الشدة، هي كفرهم باللّه، فقد قطعوا كل وشائج القربى، والصلة التي كانت تربطهم بأهلهم الكافرين، حباً لله تعالى، وتمسكاً بدينه، ونصرة لرسوله ﷺ.

ثم ثنى بصفة الرحمة ، والمودة بينهم احتراساً (٢٣) من أن يظن أن الغلظة ، والفظاظة من سجاياهم الثابتة حتى مع بعضهم [٣، ٢٦/١٢٣]، فدفع هذا التوهم بالمقابلة الخفية (٢٤) بين " أشداء على الكفار " و " رحماء بينهم " فمع كونهم أشداء على الكفار ، فهم رحماء مع إخوانهم المسلمين ، فكل لـه المعاملة الخاصة به ، وهذا مقتضى أدب الدين ، ومنطق الحكمة والرشد.

(وفي تعليق " رحماء " مع ظرف " بين " المفيد للمكان الداخل وسط ما يضاف إليه تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعاً) [١٣ ، ٢٦/٢٠٥]، فقد قال رسول اللّٰه ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [١ ، ق ، ٢٥٨٦].

والملاحظ أنه قدم " أشداء على الكفار " على " رحماء بينهم " على عكس موقع سورة المائدة (٢٥) ، حيث قدم قوله : " أذلة على المؤمنين " على "أعزة على الكافرين" مع أن المعنى يكاد يكون واحداً.

والسر في ذلك – واللّٰه أعلم بأسرار كتابه – أن آية المائدة واردة في سياق التهديد بالاستئصال الكامل للذين يرتدون عن الإيمان ، بحيث يستبدل اللّٰه قوماً غيرهم يخالفونهم في الصفات ، والطباع كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ [محمد]، والقوم الجدد لا شك أنهم يبدأون شيئاً فشيئاً حتى يقوى عودهم ، ويشتد أمرهم ، فبدأ بصفاتهم الأولى ، وهي نشأتهم على محبة اللّٰه – تعالى - ، والعمل بما يرضيه ، ثم هم يتراحمون ، ويتعاونون على بناء مقومات حياتهم حتى يقوى أمرهم ، وينبه شأنهم ، فيكونوا ذوي شدة ، وعزة على الكفار ، يجاهدونهم ، ولا يخشون في اللّٰه لومة لائم ، فجاء ترتيب صفاتهم في آية المائدة مراعاة لأصل تكوين المجتمع الجديد تكويناً قائماً على التدرج.

أما آية الفتح – موضع الدراسة – فقد نزلت بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة [١٨ ، ٢٧١] تمهيداً للفتح ، وتبشيراً به ، وقد بدأت بنعت صفات الفاتحين الذين أعدوا واكتمل إعدادهم ، ولم يبق إلا مناجزة عدوهم ، وتحرير

---

(٢٣) الاحتراس: سبق بيانه، ينظر ص٢١ من البحث.

(٢٤) المقابلة: هي توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، لا يحذف من ذلك شيئاً في المخالف والموافق.... وقد تكون المقابلة بغير الأضداد، ويمكن أن يكون الوارد في المتن من الطباق الخفي، وهو أن تكون المقابلة بين طرفي الطباق خفية حيث لا يكون التضاد ظاهراً في الطرفين حقيقة، وإنما يفهم ويدرك من السياق [٣٩، ١٧٩].

(٢٥) في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة].

بيت اللّه من أيديهم، فبدأ بصفة الشدة على الكفار ترهيباً لعدوهم؛ لأنهم جادون في نصرة الدين، ساعون بكل ما أوتوا من قوة، ولذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسرت شوكتهم.

ثم ذكر أحوالهم التعبدية التي أنتجت الشدة على الكفار، والرحمة بينهم، إرادة تكريمهم ببيان هيئتهم، وحالتهم بكثرة الصلاة، فقال سبحانه: "تراهم ركعاً سجداً"، والخطاب لكل من تتأتي له الرؤية، فالرؤية هنا بصرية لغير معين، كما أن التعبير بالمضارع يوحي بهذه الهيئة الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً.

والتعبير بالركوع والسجود عن الصلاة مجاز مرسل بعلاقة الجزئية(٢٦)، حيث ذكر الجزء وأراد الكل، وذلك لأن الركوع والسجود أعظم ما يميز المصلي عن غيره، كما أنهما دليلان محسوسان على الخضوع، والذلة لله تعالى، وفي ذكر الصلاة من بين سائر العبادات، تشريف، وتعظيم لها، ولشأنها فهي عمود الإسلام، والتنصيص عليها، إيماء إلى ضرورة إقامتها، والاعتناء بشأنها.

كما روعي في تقديم الركوع على السجود الترتيب الفعلي لأركان الصلاة.

ثم أخبر عنهم أيضاً بقوله: " يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً "، ويمكن أن تكون حالاً من "تراهم "، أو استئنافاً مبنياً على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل: ماذا يريدون بذلك ؟ فقيل: يبتغون فضلاً من اللّه ورضواناً [٤، ١٤٤/٨]، ليبين مدى إخلاصهم، وبعدهم عن الرياء، فقد صور تعالى مشاعرهم القلبية، وهي مشاعر دائمة ثابتة يشغلون بها، وهي رجاء فضل اللّه ورضوانه ولا شيء غير ذلك يتطلعون إليه، ولذلك فصلت الجملة عن سابقتها لشبه كمال الاتصال (٢٧).

وتقديم الفضل على الرضوان جرى على نسق آيات أُخر من القرآن الكريم(٢٨)، فالفضل عام، والرضوان خاص، لكونه مشتملاً على الرضا الكثير، (ولما كان الرضا رضا الرحمن خص لفظ الرضوان في القرآن الكريم بما كان من اللّه تعالى) [٨، ٤٧٨]، فهو أفضل وأكبر من سائر النعم، فتأخير ذلك تأخير للأنفس الأغلى كما قال

---

(٢٦) المجاز المرسل بعلاقة الجزئية: المجاز المرسل، هو ما كانت العلاقة بين المعنى الموضوع له اللفظ، والمعنى المستعمل به غير المشابهة، ومن علاقاته الجزئية، وهي أن يكون اللفظ المذكور جزءاً من المعنى المراد [٣٤، ١٤٤].

(٢٧) شبه كمال الاتصال: هو الفصل بين الجملتين، وهو المسمى الاستئناف البياني [٣٢، ٦٨/٢].

(٢٨) قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ ﴾ [المائدة: ٢]، وقوله: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر].

تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

والتنكير فيها يفيد غاية التعظيم ، والابتهال إلى اللَّه.

ثم إن هذه العبادة تظهر على ملامحهم وسماتهم والمقصود بـ " سيماهم في وجوههم" هو الخشوع والتواضع والوقار [٢٨ ، ٥٦/٥]، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة و (اختار لفظ السجود ؛ لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها) [٢٠ ، ٣٣٣٢/٦]، فقد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت ؛ لأنه لما استنارت بواطنهم استنارت ظواهرهم ، ولذلك آثر التعبير بـ" في " دون " على " في قوله : "سيماهم في وجوههم" للدلالة على تمكن هذه العبادة في نفوسهم ، وهذا لا شك مدح للمؤمنين بتحقق فلاحهم في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون] ، والإشارة للبعيد في قوله : " ذلك مثلهم في التوراة " عائدة إلى نعوتهم الجليلة ، وآثر الإشارة للبعيد (مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه ، وبعد منزلته في الفضل) [٤ ، ١١٥/٨].

وقد روعي الترتيب الزمني في النزول بتقديم ذكر التوراة على الإنجيل ، وإنما أخبر عن شأنهم في الكتابين باسم المثل ؛ لأن المثل يطلق على الحال العجيبة ، كما يطلق على النظير والمشابه ، والصحابة – رضوان اللَّه علهيم – كانوا بالصفات المتقدمة على هذه الحال التي تثير الاستغراب والدهشة[١٣ ، ٢٠٧/٢٦].

وقد مثل اللَّه حال الصحابة – رضوان اللَّه عليهم – بحال الزرع حيث قال : "كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار" ، وفي إيثار الزرع من بين سائر النباتات ، ليكون الصحابة مشبهين به ، لكونه تتكاثر فروعه ، وتتعاظم سنابله ، فالزرع يخرج غضاً طرياً ، وهكذا الإسلام متمثلاً في رسول اللَّه ﷺ ثم يخرج شطأه (٢٩) فيقويه ، وهذا شأن الصحابة – رضوان اللَّه عليهم – فقد حفظوا لنا هذا الدين – بعد اللَّه – ، وناصروه حتى يشتد ، ويقوى قائماً على سوقه ، وزرع هذه صفته من شأنه أن يعجب الزراع ويأخذهم بروائه.

فالإسلام شبه بالزرع تحيا به النفوس ويبهج النظر بخضرته وبهائه ، وإسناد إخراج الشطأ إلى الزرع مجاز عقلي (٣٠) ، فالمخرج هو اللَّه وإنما أسند إليه لكونه ملابساً للشطء بالسببية في الأصل والنشأة ، ثم إن الإسلام كان سريع الانتشار والاستقرار ، يدل على ذلك العطف بالفاء في قوله : " أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى".

---

(٢٩) شطأه: فروخه، وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه، أي: جانبيه، وجمعه: أشطاء. [١٤، ش،ط،أ].

(٣٠) المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الحقيقة لعلاقة [٣٧، ١٠٧].

ولما كان الإسلام يتم في حكمة وتدبير شبهت أطوار نموه بأطوار نمو الزرع وهي مراحل طبيعية لسنن النشوء والارتقاء [٢٩ ، ٢/٢٤٠].

فكان الزرع لقوته وحسن بهائه ذا أثرين :

١ – إعجاب الزراع به.

٢ – غيظة للكفار.

إذن التمثيل (٣١) هنا يبين إنه زرع من نوع خاص ينمو ولا يذبل...، يقوى ولا يضعف...، وهكذا كان رسول اللّه ﷺ وصحبه، فقد كثرهم اللّه، وقواهم، ليكونوا غيظاً عظيماً بالغ القوة [٢١ ، ٨/١٠٣]، فكلما ازدادوا كثرة زاد الكفار غيظاً، فكيف إذا كان مع هذه الكثرة قوة وشدة ؟!!

وخص الزراع من بين سائر فئات الناس ؛ لأنهم أهل الاختصاص، فهم يعرفون عيوب الزرع، وآفاته، فإن سلم منها استحق العجب، فإذا نال إعجاب الزراع، فهو حري أن ينال إعجاب غيرهم [٣، ٢٦/١٢٧].

(وفي إسناد فعل الغيظ إلى الضمير المستتر العائد إلى اللّه – تعالى- ، وكون المغاظ بهم الصحابة، وتقديم ضميرهم على المفعول به، تشريف لا يخفى لمقامهم، وذب عن أعراضهم، وتعريض بمن غاظه، أو داخل قلبه شيء فيهم، وندب للمسلمين كافة بأن يترضّوا عنهم، ويحيوهم، ويظهروا فضلهم، ويدفعوا ما قيل من الشبه حولهم، ويحسنوا تأويل ما وقع بينهم من خلاف أو اختلاف) [٢٦ ، ٣١٥].

وفي إيثار حرف العطف " الفاء " ؛ لأن حال الزرع في انتقاله من مرحلة إلى أخرى ليس فيه طول وتراخ حتى يعطف " بثم "، وليس مجتمعاً مرة واحدة فيعطف بالواو، ولهذا كان أليق الحروف بهذا التدرج هو " الفاء "، فكأنما جمع بين شيء من خصائص " الواو "، وخصائص " ثم ".

وختمت الآية ببشارة، ووعد للمؤمنين، ترغيباً في التمسك بدينه تعالى، ونصرة نبيه، فقال : " وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً "، وقد أسند فعل الوعد إلى لفظ الجلالة، مع إظهاره حتى يجعل قلوب المؤمنين تطمئن إليه، وتشتاق إلى موعده، وتقطع بوقوعه.

وجاء التعبير عن الصحابة – رضوان اللّه عليهم – بقوله : " الذين آمنوا وعملوا الصالحات " بالاسم الموصول وصلته إشارة إلى اشتهارهم بما في حيز الصلة، وهو العمل الصالح.

---

(٣١) التمثيل: من أقسام التشبيه باعتبار الوجه، وهو ما كان (وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور)، وهذا يعني أن يكون وجهه مركباً مطلقاً، وهذا مذهب الخطيب والجمهور.[٣٢، ٣/٥٠]

(والجمع بين الإيمان، وعمل الصالحات بواو العطف، وبصيغة المضي يدل على ضرورة اقتران الإيمان بالعمل الذي يصدقه ويظهره، وشرعية وقوعه وفعله) [٢٦، ٣١٦].

وفي إظهار الجار والمجرور " منهم "، وتقديمه على المفعول به — وهو الموعود — احتراس من أن يكون ذلك الموعود الحسن لغيرهم، فتكون " من " هنا بيانية [٣، ٢٦/ ١٢٩].

ثم إن الجملة فصلت عما قبلها لما بينهما من شبه كمال اتصال[٣٢]، فكأنما قيل: ماذا وعدوا، قيل: وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات...

وفي الختام نلحظ في الآية الكريمة تقديم المغفرة على الأجر، وهو من تقديم التخلية قبل التحلية، وتطهير النفوس قبل تزكيتها، فالمغفرة هي محو للذنوب، وتجاوز عن السيئات، والأجر ثواب على الأعمال الصالحة، فلا يكثر ويتعاظم الأجر إلا إذا محيت الذنوب بالمغفرة، وهذا جاء على نسق آيات أخر في القرآن الكريم [٣٣].

ثم إن التنكير في " مغفرة " و " أجر "، لإفادة التكثير والتعظيم، لذلك زيد وصف الأجر بأنه عظيم، إشارة إلى أن المغفرة كذلك، ولا شك أن هذه منزلة لا تفضلها منزلة.

الخاتمة

يحسن بي بعد تمام هذه الدراسة أن أسجل أهم ما توصل إليه هذا البحث.

أولاً: إن الآيات التي ورد فيها ذكر الرسول ﷺ باسم العلم في القرآن الكريم تسهم في بناء عقيدة المسلم الصحيحة، وتدعو إلى خضوع العبد لربه خضوعاً تاماً بعبوديته الحقة لله وحده، كالمبحث الأول الذي يدعو إلى تعلق قلب المؤمن بالله وحده، وآية المبحث الرابع والتي تدعو إلى أن أصل الإيمان هو الإيمان بالله بما نزل على رسوله.

ثانياً: كان لذكر الرسول ﷺ باسمه العلم غرض تربوي يعالج كثيراً مما يقع في النفس، ويبعث الهمم، ويحقق كثيراً من الغايات، وهذا ما نلحظه في آية المبحث الثاني، والخامس.

ثالثاً: أسلوب التأكيد والقصر من أكثر ما ورد من الأساليب البلاغية في هذا البحث، ولعل ذلك لتأكيد وقصر محمد ﷺ على الرسالة فهو مأمور بتبليغ ما أمره الله به.

---

(٣٢) شبه كمال الاتصال: سبق بيانه، ينظر ص ٣٥ من البحث.

(٣٣) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ [فاطر]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات] وغيرهما.

رابعاً : أظهر التمثيل المدح والثناء على رسول الله ﷺ ومن آمن معه في أجمل صورة وأبهى بيان ، حيث مثل الإسلام بالزرع الذي تحيا به النفوس ، وقد كان لرسول الله ﷺ وصحابته أكبر الأثر في غيظ الكفار لقوتهم في الحق ، فلا بد أن يكون المسلمون على هذا في كل وقت وحين وخاصة في زماننا الحاضر.

وبعد ، فإنني لا أدعى أن هذا البحث لم يترك زيادة لمستزيد ، ولكن أحسب أنها محاولة جادة نحو تأصيل الدراسات البلاغية التحليلية في القرآن الكريم ، فالله أسأل القبول والغفران.

المراجع

[١] مسلم ، أبو الحسن مسلم النيسابوري – *صحيح مسلم* ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

[٢] الزمخشري ، محمد بن عمر ، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* ، ت.مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، بدون.

[٣] الألوسي البغدادي ، أبو الفضل شهاب الدين ، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط(٤) ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

[٤] العمادي ، أبو السعود محمد ، *تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم* ، مكتبة عبدالرحمن ، القاهرة ، بدون.

[٥] البخاري ، أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري ، *الجامع الصحيح* ، ت.محمد نزارغيم. دار الأرقم ، بيروت ، بدون.

[٦] الخضيري ، عبدالله صالح ، *محبة النبي ﷺ وتعظيمه* ، عبداللطيف محمد الحسن ، مجلة البيان ، " (١) ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

[٧] منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد ، معجم *لسان العرب* ، دار صادر ، بيروت ، ط(٣) ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

[٨] الحسني اللغوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى ، *معجم الكليات للمصطلحات والفروق اللغوية* ، ت.عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط(٢) ، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

[٩] القرطبي ، أبو عبد اللّٰه محمد بن أحمد ، *الجامع لأحكام القرآن* ، ت.عرفات العشا ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[١٠] الترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سوره ، *الجامع الصحيح سنن الترمذي* ، ت. أحمد محمد شاكر ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، بدون.

[١١] الجوزية، ابن قيم، *جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الإنام* ، ت. مشهور حسن سلمان، بدون.

[١٢] البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، ت.عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

[١٣] بن عاشور، الطاهر، *التحرير والتنوير*، بدون.

[١٤] الأصفهاني، الراغب، *معجم المفردات في غريب القرآن الكريم*، ت.محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط(١)، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[١٥] الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، ت.عبدالعليم الطحاوي، مطابع الأهرام، القاهرة، بدون.

[١٦] السعدي، للشيخ. عبدالرحمن، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٤)، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

[١٧] النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد، *تفسير النسفي*، دار الفكر، عيسى البابي، بدون.

[١٨] الواحدي أبي الحسن، *أسباب النزول*، دار الفكر، بيروت، ط(١)، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

[١٩] البيضاوي، *حاشية زاده*، ت.محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

[٢٠] قطب، سيد، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، القاهرة، ط(١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[٢١] أبي حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، *البحر المحيط في التفسير*، دار الفكر، بيروت، ط(٢)، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

[٢٢] الطبري، محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل أي القرآن*، دار المعروفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٠م.

[٢٣] مالك بن أنس، *الموطأ*، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، بدون.

[٢٤] المطعني، د.عبدالعظيم، *دراسات جديدة في إعجاز القرآن*، مكتبة وهبة القاهرة، ط(١)، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

[٢٥] السامرائي، د.فاضل، *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*، دار عمار، عمان، ط(١)، ١٤٢٠هـ- ١٩٩م.

[٢٦] الخنين، د.ناصر، *النظم القرآني في آيات الجهاد*، مكتبة التوبة، الرياض، ط(١)، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

[٢٧] ابن تيمية الإمام تقي الدين، *التفسير الكبير*، ت.عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

[٢٨] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، دارالفكر، بيروت، بدون، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

[٢٩] المطعني ، د.عبدالعظيم ، *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية* ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط(١)، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

[٣٠] الخطيب القزويني ، *الإيضاح* ، ت . عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب اللباني ، لبنان ، ط (٦) ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

[٣١] العلوي ، يحى بن حمزة بن علي ، *الطراز* ، ت. محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط (١)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

[٣٢] الصعيدي – عبد المتعال ، *بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة* ، مكتبة الآداب المصرية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

[٣٣] القزويني ، جلال الدين الخطيب ، *التلخيص في علوم البلاغة* ، ت. البرقوني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون.

[٣٤] لاشين ، عبد الفتاح ، *البيان في ضوء أساليب القرآن* ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

[٣٥] السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، *مفتاح العلوم* ، المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

[٣٦] الزركشي ، بدر الدين محمدبن عبد الله ، *البرهان في علوم القرآن* ، ت . محمد أبو الفضل ، دار المعرفة ، بيروت ، ط (٢)، بدون.

[٣٧] لاشين ، عبد الفتاح ، *المعاني في ضوء أساليب القرآن* ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

[٣٨] السيوطي ، جلال الدين ، *الإتقان في علوم القرآن* ، ت. محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٦ م.

[٣٩] المصري ، ابن أبي الأصبع ، *تحرير التحبير*، ت د. حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث ، مصر ، بدون.

[٤٠] ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر ، *زاد المعاد في هدي خير العباد* ، ت. مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٣، ٢٠٠٦م - ١٤٠٧هـ.

"Some of the Rhetoric Secrets of Mentioning the Prophet's Proper Noun in the Holy Qur'an" (An Analytical Rhetoric Study)

Maha AIMoshety
Assistant Professor of Rhetoric Arabic Language Collage of Education
Qassim University
ayg-999@hotmail.com

(Received 18/3/1429H.; accepted for publication 24/6/1429H.)

Abstract. The 'Messenger of Allah' title was the favourite and most loved one to Prophet 'Muhamed' (peace be upon him). However, Allah mentioned his proper noun in five different verses. These verses were tackled in five research areas.

The first area is in the verse, "Muhamed is but a prophet ….." [Al-Umran, verse:144]. Here Allah wanted Muslims to be in direct connection to their Creator without being infatuated by the Prophet's personality because he is a human being after all.

The second research area is in the verse, "Muhamed is not the father of any of your men …….." [Al-Ahzab, verse:40]. This verse refutes by all means considering Prophet Muhamed as the father of any of his followers.

The third research area is in the verse, "Believe in what descended on Muhamed, and it is the truth ….." [Muhamed, verse: 2]. This verse shows that truthful and real faith should include faith in Prophet Muhamed (peace be upon him) the same way as in the testimony "I testify that there in no god but Allah and that Muhamed is His Messenger".

The fourth area is in the verse, "Muhamed is the Messenger of Allah ……." [Al-Fath (Victory), verse:29]. In this verse, Allah is praising Prophet Muhamed and his personality because the Prophet's name is derived from the noun 'Hamd', which is thanking Allah.

The proper noun 'Ahmed', which is another name for Prophet 'Muhamed', (peace be upon him) was mentioned by Christ (peace be upon him) while informing his followers of the future news concerning a coming last and final prophet.

This was the fifth research area in the verse, "Telling believers that a messenger is coming after me and his name is Ahmed" [Al-Saf, verse:6]. Prophet Muhamed has the name 'Ahmed' because he is the most thankful prophet to Allah. So, the proper noun 'Ahmed' here was very much relevant to the context.

In all these verses, different rhetoric styles were used. The research recommends increasing the number of Quranic studies on the goals and aims of these styles.